**الوثيقة الشاملة** : يقدم كتاب محفوظ وثيقة شاملة لاهم التيارات الادبية في حياتنا المعاصرة . وأهمية هذه الوثيقة في كونها شهادة من الداخل . فمحفوظ ساهم ويساهم في هذه الحركة الادبية التي اراد ان يكتب وثيقة عنها . لذلك جاء كتابه في حجم الشهادة التي لا تؤرخ بشكل اكاديمي ، بل تتبع سيرورة العمل الادبي من داخل المعاناة نفسها . أي ان النقد يتحول هنا الى شهادة ذاتية تتجاوز التحليل الذاتي بالمعنى الضيق للكلمة لتحاول ان تكشف عن معاناة الانتاج الفني داخل عملية الانتاج نفسها . من هنا يصبح اخضاع هذا الاطار الوثائقي للنقد المنهجي عملية بالغة الصعوبة . فالشهادة تؤخذ كما هي بوصفها شهادة وتصبح اطارا مرجعيا يسمح للدراسات الشاملة بأخذها كأحدى نقاط الانطلاق الممكنة . لذلك جاءت شهادة محفوظ واسعة جدا تريد الشمول . من الشعر العراقي المعاصر وصولا الى الفنون التشكيلية في لبنان . والكتاب يضع نفسه في اطار مرحلة انقضت . لذلك يؤكد على مفهوم **الحداثة** بوصفه مفتاح قراءة التجارب الفنية الجديدة ومقياسها في آن . غير ان النقطة التي تستلفت النظر هي في بعض الغيابات الكبيرة من هذا الكتاب . فأدونيس في قصائده الاخيرة التي استطاع ان يفتح بها ابوابا جديدة كل الجدة في شعرنا المعاصر . غائب بشكل كامل . والحقيقة انه يصعب فهم وثيقة شاملة تتجاوز ادونيس بشكل غيابي دون مناقشته جديا . فالمعاناة الادونيسية التي تحاول ان تقوم بممارسة فنية تهدم بشكل كامل لتؤسس بنية جديدة للقصيدة العربية ، تستحق الوقوف طويلا ، ليس بوصفها فقط لعبت دورا هاما في المرحلة التأسيسية « مجلة شعر » ولكن بوصفها تحمل بذور تجاوز لهذه المرحلة باتجاه القصيدة المتشابكة داخل مفاهيم التحول . كما يلاحظ غياب بعض التجارب القصصية الطليعية في مصر ( تلك الرائحة على سبيل المثال ) وتشديد على لبنان في المسح والفن التشكيلي . غير ان هذه النواقص أو الغيابات على أهميتها الكبرى لا تنزع عن الكتاب صفته الشمولية فهو يحمل هما واضحا ، يريد من خلال النقد ، ان يصل به الى لحظة الاحاطة بالنتاج الادبي في سبيل تخطيه من خلال العلاقة بجراحات الوطن داخل مفهوم مساواة الفن والحياة . « ان المقياس النقدي المقبل يجب ان يكون ايضا ضرورة لدعم وتركيز المفهوم الطليعي للتعبير في المرحلة الحياتية الحاسمة المقبلة ، بتفصيل ومباشرة صارم لمفهوم مساواة الفن والحياة، حيث التأكيد على الفن كأداة معاونة تأتي من الداخل وليس أداة تأملية تأتي من الخارج » .

**المقدمات النظرية** : رغم ان محفوظ يصنف كتابه في باب النقد التطبيقي ، فانه قد صاغ لهذا الكتاب بعض المقدمات النظرية ، وضمنه الى جانب المقالات القصيرة التي تحمل انطباعا حارا بالاثر الادبي ، دراسات طويلة ، تؤكد على مقدماته النظرية من خلال تطبيقها بشكل دقيق على بعض النماذج الفنية ــ الشعرية ، كمحاولة لدراسة الاثر من داخله . أي ان الموضوعات تستخلص من بنية هذا العمل ــ ما نصطلح على تسميته بالاسلوب ــ دون اللجوء الى لصق دراسة بنية القصيدة على دراسة الموضوعات التي يقف عندها الانتاج الشعري . تؤكد هذه المقدمات على ثلاث نقاط :

١ ــ ان نمو الاشكال الجديدة يتم من خلال العمل الفني نفسه . وبمرونة « رافقت وترافق التطور الحياتي المنعكس في الفن الذي ازداد ويزداد تعقيدا مع ازدياد التعقيد الحضاري لعلاقة الفرد بالمجتمع » . فالنظرية النقدية لا تشكل خارج هذه المعاناة بل داخلها .

٢ ــ ان ما يميز الشعر هو « الحس الداخلي الذي يربط بين الصورة والنغم ويمنح القارىء مفتاحا للتذوق » . والقصيدة الحديثة هي «مجموعة من الرموز الصغيرة تنتهي بالقصيدة الى فضاء الشعر الرحب » .

٣ ــ يشير محفوظ في مقدمة الكتاب الى « التطور الحياتي المنعكس في الفن » أي ان هنا علاقة وثيقة بين الفن وهذا التطور تؤدي بالفن الى عكسه في شكل جديد وضمن فاعلية مختلفة . لكنه في بيانه المسرحي رقم «١» يجعل لهذه العلاقة الانعكاسية شكلا انسانيا شاملا ، فهو يؤكد على كون التجربة المسرحية اللبنانية او العربية جزءا من التراث العالمي : « هناك تراث انساني واحد يخص المواطن العالمي ... وقصته تمتد من الفتوحات الاولى قبل الميلاد الى الفتوحات الاخيرة بعد الميلاد » .

لذلك حين نصل الى تطبيق نظرية الانعكاس ، نصطدم بكون شموليتها الواسعة جدا ، تمنع